مواقف إسلامية رائعة

للبراعم الناشئة



أ. د. عبدالحليم عويس

مَوَاقِف

إسلامِيَّة رَائعَة للبَراعِم الناشِئة

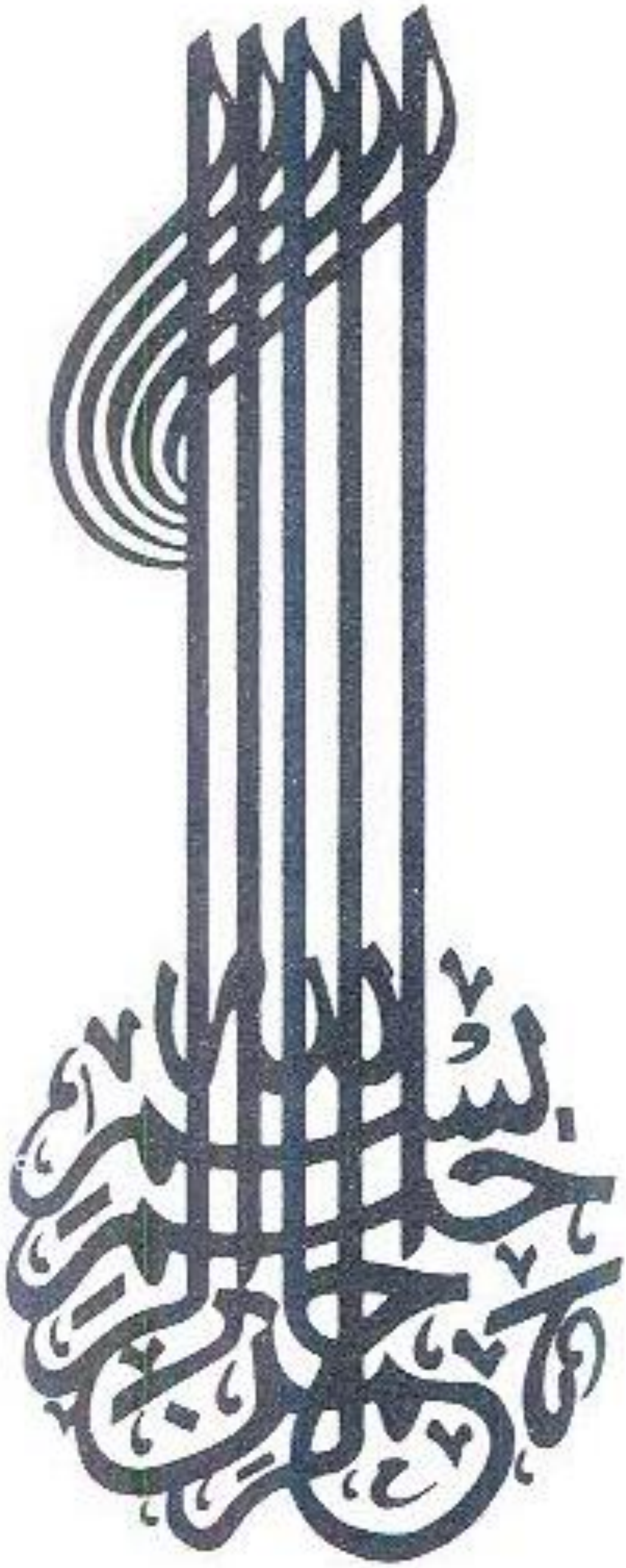
د. عبدالحليم عويس

دار الصحوة للنشر – القاهرة

١٤١٣هـ – ١٩٩٣م

سلسلة الإسلام للبراعم الناشئة

(سلسلة في عدة حلقات لتعريف الناشئ بالإسلام والسيرة بأسلوب ملائم)


بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الفتى المسلم وإلى الفتاة المسلمة

هذه باقة من المواقف الإسلامية الرائعة أقدمها للفتى المسلم والفتاة المسلمة.

وفي هذه المواقف يجد المسلم نسيجًا كاملًا لأخلاقه المسلمة، وأسلوبًا صالحًا لمواقفه الإسلامية، ونموذجًا عاليًا يجب أن يحتذيه بعد أن علم ورأى ماجرَّته على المسلمين الأخلاق الوافدة والنماذج الفاسدة.

أيها الفتى المسلم .. وأيتها الفتاة المسلمة

إنكما مدعوان لنهضة إسلامية مباركة .. نهضة تتحملان فيها المسئولية نحو أمتكما المسلمة ونحو الإنسانية التائهة.

ولن يكون ذلك إلا بالعودة للإسلام قرآنًا وسنة – وإلى حضارة الإسلام السمحة النبيلة.

فمن هذه الينابيع ننهل أخلاقنا الإسلامية، وقيمنا، ومواقفنا، وبعد ذلك لنأخذ المعرفة من أي مكان. فالمعرفة ضالة المؤمن يأخذها من كل مكان.

والإسلام طريق المؤمن ومنهج حياته ومفتاح أخلاقه ومواقفه السلوكية ولا يؤخذ الإسلام إلا من كتاب الله، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم– وسيرة حياته وحياة أصحابه رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان.

فعليكَ أيها الفتى المسلم، وعليكِ أيتها الفتاه المسلمة بطريق المؤمن.. فهو طريق المجد والخلود.

عبدالحليم عويس

مواقف خالدة من حياة الرسول –صلى الله عليه وسلم–

١– من مواقف تواضعه

٢– من مواقف رحمته

٣– من مواقف مناصرته للضعفاء

٤– من مواقف زهده

٥– مقابلته الإساءة بالإحسان

(عليه الصلاة والسلام)

تواضع الرسول صلى الله عليه وسلم

اجتمع شمل الأسره حول الأب، رغبة في الاستمتاع بشيء من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت سمية:–

سمية: يبدو يا أبي أن حب الأنصار للرسول العظيم كان حبًا كبيرًا، ملك عليهم مشاعرهم.

الأب: نعم يا بنيتي فلقد كانت شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم تبعث الحب في كل من رآها وكانت أخلاقه الكريمة تجمع الناس من حوله.

الأم: حبذا أن تحدثنا عن بعض ما كان يتميز به رسول الله صلى الله عليه وسلم، من صفات وأخلاق.

الوالد: إنَّ أخلاق محمد صلى الله عليه وسلم كلها وضاءة ولسمو خلقه مدحه رب العالمين بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} ولكن لا بأس بأن نختار بعض الجوانب من أخلاقه عليه السلام. لنرى كيف استحق الثناء من الله سبحانه وتعالى.

ولنبدأ بالحديث عن تواضعه صلى الله عليه وسلم

إنَّ تواضعه صلى الله عليه وسلم بلغ حدًّا عاليًا من السمو، هناك صورًا كثيرة متعددة نذكر منها أنه عليه الصلاه والسلام كان يكره أن يمدحه الناس أو يقوموا له تعظيمًا، أو يداخلهم خوف منه كما يخافون من الملوك والمتجبرين.

ولقد دخل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم ليكلمه في أمر من الأمور وشعر الرسول الكريم بأن الرجل يرتعد من الخوف فطمأنه وقال له: ((هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد)) وكان عليه السلام لا يميز نفسه عن أصحابه وإنما يعمل كما يعملون فنراه يشاركهم في بناء المسجد، وفي إعداد الطعام، وفي تحمل مشقات الحرب، وإذا حضر إلى مجلس جلس في المكان الخالي وكان يمزح مع أصحابه ويزورهم ويلاعب أبناءهم ويبدؤهم بالسلام والمصافحة.

أحمد: إنها أخلاق عالية جديرة بالإعجاب يا أبي.

الوالد: ولسوف أزيدكم إعجابًا حين أسمعكم هذه القصة:

كان ((عدي بن حاتم الطائي)) يأبى الدخول في الإسلام لكن أخته بعد أن عرفت أخلاق محمد –صلى الله عليه وسلم– عندما وقعت أسيرة في أيدي المسلمين، نصحته بأن يذهب إلى الرسول ليرى كريم أخلاقه وشجعته على الدخول في الإسلام.

ولما ذهب عدي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة استقبله استقبالًا كريمًا وقام به إلى بيته إكرامًا له، وفي الطريق، وهما سائران لقيت النبي الكريم امرأة عجوز فأوقفته طويلًا تكلمه في حاجة لها فقال عدي في نفسه: ((والله ما هو بملك لأن الملوك لا تتواضع هكذا وتقف للناس وتسمع شكاوى المساكين في الطرقات)) .

وعندما دخل البيت قدم النبي عليه السلام لعدي وسادة جلد محشوة بالليف ليجلس عليها فردها عدي للرسول لأنه لم يكن عند النبي غيرها. فرفض الرسول وأصر على أن يجلس عليها عدي (ضيفه) وجلس النبي على الأرض فتأثر عدي بما رأى ولم يقم من المجلس إلا مسلمًا يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

وهكذا كان أثر تواضع الرسول وخلقه الكريم في نفوس من يتصل به عليه الصلاة والسلام.

الأم: صلى الله عليه وسلم. ما أعظمه من متواضع.

(أحمد وسمية والوالد يكررون وراءها صلى الله عليه وسلم)

أخلاق يجب الحرص عليها:

١- التواضع وكراهية المبالغة في المدح والتعظيم الزائد عن الحد.

٢- تجنب التعالي على الناس بالمال أو الجاه أو العلم.

٣- حسن التعامل مع الناس على أساس الأخوة والمساواة.

٤- من تواضع العظماء إكرام من هم أقل منهم.

رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم

وفي ليلة أخرى، والأسرة جالسة كعادتها، قالت الأم:

إن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن أخلاقه – ممتع مفيد ، فهل لك يا أبا أحمد أن تتناول جانبًا آخر من أخلاق الرسول –صلى الله عليه وسلم– لعل في ذلك فائدة لنا وحسن اقتداء؟

الوالد: لقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام على خلق كريم كما قلنا، وكان رحمة مهداة من الله للبشرية كلها، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}[١].

أحمد: اذكر لنا صورًا من رحمته يا أبي.

الوالد: لقد كانت كل مواقفه مع المسلمين رحيمة يا بني ، فهو كما ذكر الله {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}[٢] لكني أذكر أمثلة من رحمته بالخدم والصغار والطيور، لنجد فيها القدوة الحسنة.

كان عليه الصلاة والسلام رحيمًا بالخدم، يوصي بهم خيرًا، وينهى عن تكليفهم فوق طاقتهم، وعن إيذائهم.

وقد ضرب أحد الصحابة وهو ((أبو مسعود)) خادمًا عنده، ورآه الرسول عليه الصلاة والسلام، فتأثر من فعل صاحبه بالخادم، ونهاه قائلًا له: ((اعلم أن الله أقدر منك على هذا الغلام))[٣] فأقسم الصحابي ألَّا يضرب خادمه بعد اليوم.

وكان (أنس بن مالك) الذي خدم الرسول عليه الصلاة والسلام عشر سنوات – يقول: ((خدمت رسول الله عشر سنين، فما سبني سبة قط، ولا ضربني ضربة، ولا انتهرني، ولا عبس في وجهي، ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فعاقبني عليه، فإن عاتبني عليه أحد من أهله قال: دعوه فلو قدر شيء كان))[٤].

وهذه أفضل شهادة يقولها خادم عن مخدومه بعد خدمته هذه المدة الطويلة.

ومن رحمته عليه السلام عطفه على الصغار، فقد كان يلاعب الحسن والحسين ويقبلهما، وكانا يركبان ظهره وهو يصلي، فيحملهما برفق حتى لا يسقطا على الأرض، وإذا صلى –عليه السلام– الفريضة بالناس، وسمع بكاء طفل، خفف من صلاته رحمة به.

وكان عليه السلام رحيمًا بذوي الحاجات، وقد روي أن الأمة (الجارية) من إماء أهل المدينة كانت تأخذ بيد الرسول، وتمشي به في قضاء حوائجها، فيدور معها حتى تفرغ من حوائجها وترجع.

[١] الأنبياء (١٠٧).

[٢] سورة التوبة ، آية ١٢٨ .

[٣] رواه مسلم في كتاب العتق .

[٤] رواه مسلم .

وكان رحيمًا بالجهلاء.. يعلمهم برحمة وشفقة. ولا يعنف معهم، وكان كلامه -عليه السلام- مفصلًا يُفهم كل أحد، وكان يكرره ثلاثًا حتى يفهمه كل الناس، وكان يكره المتشدقين الثرثارين. وكان -عليه السلام- رحيمًا بالطيور والحيوانات، فقد رأى فرخين أخذهما أحد الصحابة من عشهما، فطارت أمهما فوقهما حزينة عليهما، فأمر الرسول بردهما إليها.

وقد لعن -عليه السلام- من اتخذ الحيوان وسيلة للتسلية والإيذاء والعبث.

الأم: عليه الصلاة والسلام.

(أحمد وسمية والوالد يكررون وراءها عليه الصلاة والسلام)

أخلاق يجب أن يحرص عليها المسلم والمسلمة:

١- الرحمة بالأطفال والخدم والضعفاء.

٢- عدم ضرب الناس أو شتمهم أو تحقيرهم.

٣- الرفق بالحيوانات والطيور، وعدم اتخاذها وسيلة للعبث.

٤- الرحمة تجلب المحبة، وتجمع القلوب، والقوة تفرق القلوب، وتزرع الكراهية.

٥- التماس الأعذار للناس، وتقديم العون لهم.

مناصرة الرسول صلى الله عليه وسلم للضعفاء

حرص الوالد في الليلة التالية على أن يتابع حديثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: إن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لا تعلمنا التواضع أو الرحمة فقط، بل إنها تحثنا على مناصرة الضعفاء ومساعدتهم وقت الضيق والشدة.

أحمد: وكيف تعلمنا السيرة الكريمة مناصرة هؤلاء يا أبي؟

الوالد: كان النبي الكريم عليه الصلاة والسلام يحب الفقراء والمساكين، ويعطف عليهم، وكان يخفف عن المصابين، ويزور المريض، ويكرم اليتيم وينصر المظلوم، ويأمر بعتق العبيد، ويعين الذين ابتلاهم الله في أجسامهم أو أموالهم أو أولادهم، ويساعدهم قدر استطاعته.

سمية: حدثنا عن موقف من مواقف مناصرته للضعفاء يا والدي.

الوالد : قدم تاجر غريب إلى مكة بإبل له يبيعها، فاشتراها منه (أبو جهل)، ثم رفض أن يعطيه ثمنها. وقد ذهب التاجر إلى الكعبة، حيث تجلس جماعة قريش، ورسول الله جالس في ناحية من المسجد، فقال الرجل: يا معشر قريش، هل من رجل ينصفني من أبي جهل، ويأخذ لي حقي منه؟ فإني غريب! فقالوا: أترى ذلك الرجل؟ يشيرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستهزئين، اذهب إليه فإنه يستطيع أن يأخذ حقك من أبي جهل –وهم يعلمون سفاهة أبي جهل، وشدة عداوته للرسول صلى الله عليه وسلم.

فأقبل الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: يا عبد الله، إن أبا جهل غلبني على حق لي، واغتصبه مني، وأنا رجل غريب، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يأخذ لي حقي منه، فأشاروا إليك. فخذ لي حقي منه – يرحمك الله فلم يخيب الرسول الكريم أمل الرجل، ولم يهتم باستهزاء قريش. فقام معه حتى وصلا إلى دار أبي جهل، وطرق بابه، فقال أبو جهل: من بالباب؟ قال: محمد، اخرج إليّ، فخرج أبو جهل قد اصفر لونه. وكأنما سلبت روحه. فقال له الرسول عليه السلام: أعط هذا الرجل حقه. فألقى الله الرعب في قلب أبي جهل، فسرعان ما أجاب: لا تبرح يا محمد حتى أعطيه حقه. ثم انصرف الرجل راضي النفس، منشرح الصدر، شاكرًا لرسول الله مناصرته للضعفاء، وحسن مروءته. فلما علمت قريش بما كان من أمر النبي عليه السلام مع أبي جهل عَجِبَت، وقالت له: مالك يا أبا الحكم؟[٥]

فقال: ويحكم، والله ما هو إلا أن ضرب عليّ بابي، وسمعت صوته، حتى امتلأت نفسي رعبًا، وأسرعت أوفي الرجل حقه.

أحمد: لقد كان موقفًا عظيمًا من رسول الله يا أبي.

[٥] أبو جهل هو أبو الحكم بن هشام.

الأم: لقد كانت كل مواقفه عظيمة .. صلى الله عليه وسلم.

(سمية وأحمد والوالد .. يرددون وراءها) صلى الله عليه وسلم.

أخلاق يجب أن يحرص عليها المسلم والمسلمة:

١- حب الفقراء والمساكين والضعاف، ومساعدتهم .

٢- مناصرة الحق، والوقوف بجانبه بشجاعة.

٣- الاعتقاد بأن الله ينصر الحق، ومن يناصره .

٤- مسارعة المسلم إلى نصرة المظلوم، وعدم المبالاة بسخرية الأشرار.

٥- الحرص على أداء الدَّين، وعدم المماطلة وأكل حقوق الناس بالباطل.

زهد النبي صلى الله عليه وسلم

جلست الأسرة في الليلة التالية تتناول طعام العشاء. وكان الطعام شهيًّا متعدد الأنواع. فقال الوالد: الحمدلله الذي وهبنا هذه النعم العظيمة، وإني لأتذكر الآن كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيا حياة الزهد والتقشف، ولا يجتمع على مائدته لونان من ألوان الطعام الذي منَّ الله به علينا.

سمية: كيف كان زهده عليه السلام يا أبي؟

الوالد : لقد فتح الله أبواب النعمة والخير على محمد وأصحابه في المدينة، ومع ذلك ظلت حياته بعيدة عن مظاهر الترف، وكثيرًا ما كان يبيت هو أهله وبطونهم خاوية، بل إن بيوته كانت تبقى الشهر والشهرين دون أن تشتعل فيها نار لطهي الطعام، ويعيش هو وأهله على التمر والماء، وكان نومه عليه السلام على حصير خشن يترك أثره في جنبه.

أحمد: أحب أن تقص علينا يا والدي قصة من قصص زهده عليه السلام.

الوالد : دخل سيدنا عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– على رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرته فلم يجد عنده طعامًا إلا بعض الشعير، ولا فراشًا إلا حصير يجلس وينام عليه، ووجد عمر أن الحصير قد أثر في جنب الرسول الكريم، فدمعت عيناه من شدة تأثر فقال له الرسول ما لك ..

فقال له عمر: يا رسول الله أنت صفوة الله من خلقه ، وملوك الفرس والروم يتمتعون بنعيم الدنيا ، وأنت على الحال الذي أرى.

فعاتبه الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال له: أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا.

وهكذا كانت حياة الرسول عليه الصلاة والسلام زهدًا، ورضا بالقليل وجودًا ما يملك وإيثارًا للآخرة على الحياة الدنيا .

الأم: لقد كان عليه السلام عظيم النفس، لم تلهه الدنيا عن الآخرة صلى الله عليه وسلم .

(أحمد وسمية والوالد .. يكررون وراءها) صلى الله عليه وسلم .

أخلاق يجب أن يحرص عليها كل مسلم ومسلمة:

١– الرضا بما قسم الله، مع السعي في الأرض.

٢– الاعتدال في المظهر، والبعد عن الترف والإسراف.

٣– عدم التطلع إلى ما عند الآخرين من النعم.

٤– الزهد يقوي النفس ويعودها تحمل المشاق.

مقابلته صلى الله عليه وسلم الإساءة بالإحسان

خرجت الأسرة للتنزه على شاطئ الخليج، وقد رأى الوالد رغبة الأسرة في الاستزادة من الحديث حول سيرة الرسول العطرة فقال:

الوالد: سأحدثكم هذه الليلة عن خُلق آخر من أخلاق الرسول الكريم التي نشأ عليها، ألا وهو (مقابلته صلى الله عليه وسلم الإساءة بالإحسان)

أحمد: نحن في شوق حديثك يا والدي.

الوالد: كان صلى الله عليه وسلم يعفو عمن ظلمه، ويصل من قطعه، ويحسن إلى من أساء إليه عملًا بقول الله: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}[٦].

وبقوله تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)[٧].

أحمد : اذكر لنا قصة توضح هذا الخلق يا والدي.

الوالد: أتى كعب بن زهير الشاعر وأخوه بجير إلى مكان يسمى أبرق العزاف –قرب المدينة– يرعيان الغنم وكان قد سمعا بدعوة الرسول عليه الصلاة والسلام، فقال بجير لأخيه كعب: انتظر وسأذهب إلى المدينة لأرى مايقوله هذا النبي، ثم تركه، وذهب إلى المدينة، ولقي الرسول وأسلم.

فلما علم كعب بما فعل أخوه .. هجاه وهجا أبا بكر والإسلام بقصيدة سمع بها الرسول عليه الصلاة والسلام وتألم ، فأباح دم كعب لمن يقتله. وقد أرسل بجير إلى أخيه كعب ينصحه بأن يفد على الرسول في المدينة ويعتذر إليه، فهو يعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه!! واستجاب كعب لنصيحة أخيه ووفد على الرسول، وطلب منه الأمان والعفو، ومدحه بقصيدة مشهورة تسمى ((البردة)) وقد سميت القصيدة بالبردة لأن الرسول الكريم أعجب بشعر كعب وأهداه البردة التي كانت عليه مقابلةً منه للإساءة بالإحسان كعادته. وقد أسلم كعب وحسن إسلامه بفضل خُلُق الرسول عليه السلام، ورفض بعد ذلك أن يبيع بردة الرسول للخلفاء الذين طلبوها منه بثمن غال، اعتزازًا بصاحبها وحبًّا له عليه الصلاة والسلام.

الأم: لقد كان خلقه الكريم أكبر دليل على نبوته وشرف أصله عليه الصلاة والسلام.

(أحمد وسمية والوالد يكررون وراءها) عليه الصلاة والسلام.

٦

٧

أخلاق يجب أن يحرص عليها المسلم والمسلمة:

١- مقابلة الإساءة بالإحسان، وقبول المعذرة من المخطئين.

٢- البعد عن الانتقام ، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس.

٣- تصحيح أخطاء الناس بالحكمة والموعظة الحسنة.

٤- الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه وجعله المثل الأعلى في الحياة.

من روائع مواقف الأنبياء

شجاعة وإيمان .. حتى النهاية في قصة إسماعيل عليه السلام ..

بين يدي القصة

أيها الفتى المسلم

هذه المواقف إسلامية نستقي معالمها من قصة نبي ورسول عظيم هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

ونحن نقدم لك هذه المواقف من خلال حياة نبي الله إسماعيل عليه السلام -لنلفت نظرك- أيها الفتى المسلم إلى حقيقة أساسية هي أن المسلمين جميعًا يؤمنون بأنبياء الله ويأخذون من حياتهم ومواقفهم العظات والعبر، كما أنك يجب أن تعرف أن أنبياء الله جميعًا مسلمون موحدون مؤمنون بالله الواحد الأحد .. قال الله تعالى في وصف خليل الله إبراهيم أبي إسماعيل: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.

فاعرف هذا أيها الفتى المسلم ...

وخذ من حياة أنبياء الله كما وردت في القرآن الكريم – عظات وعبرًا لحاضرك ومستقبلك .. فمواقفهم مواقف إسلامية.

شجاعة وإيمان حتى النهاية

قصة إسماعيل عليه السلام

ميلاد نبي:

شاء الله سبحانه وتعالى أن تكون (سارة) زوجة سيدنا إبراهيم عقيمًا لا تلد وكانت زوجة وفيّة مخلصة لزوجها، عارفة بحقوق ربها. وحين أدرك إبراهيم الكبر ولم يرزق منها ذرية. آلمها ألا ينعم بالولد بسبب عقمها، فأهدت إليه جارية تملكها تسمى (هاجر) وطلبت إليه أن يتزوجها فلعلها تسعده بما عجزت هي عنه.. ولقد كان ما أملته، إذ لم تلبث (هاجر) أن وضعت ولدها (إسماعيل) عليه السلام، ففرح به أبوه (إبراهيم) فرحًا عظيمًا، وشاركته زوجته (سارة) ذلك.

لكن سرعان ما دبت الغيرة إلى قلبها فألحت على سيدنا إبراهيم أن يبعد (إسماعيل) وأمه (هاجر) إلى مكان بعيد.

وكانت إرادة الله سبحانه وراء كل ذلك، فأوحى إلى إبراهيم أن يستجيب لزوجته. وأخذ إبراهيم وولدها، وسار بها ترشده عناية الله وتقوده إرادته، حتى وقف بها عند مكان البيت العتيق بمكة، فأنزلهما، وتركهما في تلك البقعة الجرداء وليس معهما من الزاد ما يكفي يومًا أو بعض يوم.

ماء زمزم:

وتعلقت (هاجر) بزوجها ترجوه ألا يتركها في هذا المكان الموحش، وأن يرحم ضعفها وضعف طفلها الصغير، لكن إبراهيم أخبرها – وهو يغالب دموعه بأن ما يفعله هو أمر الله ، وأن الله لا يضيع عباده الصابرين، ثم دعا الله لهما، وانصرف راجعًا إلى حيث تقيم زوجته (سارة) بأرض فلسطين.

ولم يمض غير قليل حتى نضب الزاد الذى تحمله (هاجر) وساعدت شدة الشمس على نفاد الماء، وراحت الأم الصابرة تنظر في أسى إلى عيني صغيرها المهدد بالجوع والموت، وبعد أن جف ثديها، فلم يعد قادرًا على أن يمنح الصغير الغذاء. وتطلعت الأم أكثر من مرة إلى السماء ترجو عندها وعد الله وتحقيق دعوة إبراهيم عليه السلام {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} ثم راحت (هاجر) تجري هنا وهناك تهرول كلما سمعت بكاء (إسماعيل) وصراخه، حتى قطعت ما بين الصفا والمروة سبع مرات.

وعادت منهمكة مذعورة إلى ولدها ولشد ما أصابها الدهش حين رأت وعد الله قد أنجز ودعوة إبراهيم قد استجيبت. فالماء بين قدمي الصغير ينساب من بئر زمزم .. إنها لا تصدق عينها ولكنه الواقع الذي لا سبيل إلى إنكاره.

ولم تطل وحدة هاجر فهذا ركب يمني حاشد، من قبيلة تدعى جرهما، يقطع الصحراء فيمرون على مقربة من مكان هاجر ويرون الطير تحوم من حوله فيوقنون أن به ماء ويقصدونه، ويتمنون المقام به ويستأذنون هاجر في الإقامة معها فتأذن.

وتمضى الأيام وعين الأم وقلبها على ولدها وعناية الله ترعاها وترعاه.

الامتحان الرهيب:

وذات ليلة فاجأت الرؤيا الصادقة إبراهيم تأمره أن يذبح ولده إسماعيل. وتوجه إبراهيم إلى ولده يقص عليه ما رأى، وقال: يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى؟ فرد إسماعيل : {يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} وأسلم نفسه وطلب من أبيه أن يشد وثاقه وأن يطرحه على صدره حتى لا يرى السكين وأن يحدها جيدًا وأن يسرع إمرارها على رقبته حتى لا تأخذه الشفقة فيتردد فيخالف أمر الله ورجاه أن يبلغ أمه السلام وأن يقوم بالتسرية عنها بعد ذبحه.

فلما شد (إبراهيم) ابنه على النحو الذي طلبه منه أمر الله السكين فكلت عن القطع وحار إبراهيم في الأمر وأحس أن الله سبحانه قد رحم هذا الابن المطيع، وسرعان ما انكشفت حيرته حين رأى أمامه كبشًا عظيما – وسمع نداء علويا يرتفع بالثناء عليه، وبأن الله أنزل هذا الكبش فداء لإسماعيل فأسرع إليه إبراهيم يذبحه.

وفرج الله –بهذا– الكرب عن الوالد والولد معا.

وقد سجل القرآن الكريم هذه القصة ونهايتها فقال تعالى :

{فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}.

عتبة البيت:

وعاش إسماعيل في هذا المكان، واختلط في طفولته وصباه بأبناء جرهم فتعلم منهم العربية وأحبهم وأحبوه، فلما صار شابا تزوج منهم وعاش معهم سعيدا بأمه وسعيدا بهم.

لكن المنية نزلت بأمه فامتلأ قلبه بالأسى لفراقها وسأل الله تعالى أن يجزيها على جهادها وصبرها خير الجزاء.

وبين الحين والحين ، كان سيدنا إبراهيم يكابد مشقة السفر بين فلسطين ومكة ليزور ابنه ويتفقد أحواله.

وفي إحدى هذه الزيارات، لم يجد (إسماعيل) بالبيت فسأل زوجته عنه وعن شئون حياتهما، فأجابته شاكية ساخطة متبرمة فانصرف عنها بعد أن أمرها بأن تبلغ (إسماعيل) سلامه ورغبته في أن يغير عتبة بابه فلما جاء زوجها أخبرته وفهم إسماعيل ما أراده أبوه بتغيير عتبة الباب فطلق هذه الزوجة الجاحدة وفارقها.

وفي زيارة أخرى قام بها سيدنا إبراهيم، لم يجد ولده إسماعيل في البيت ووجد زوجته الجديدة، فتحدث

إليها بمثل حديثه مع الزوجة السابقة وسأل السؤال نفسه فأجابته وهي لا تعرف أنه والد زوجها – بأن زوجها بخير وبأنهما في خير حال فأمرها أن تبلغ زوجها سلامه وأن يثبت عتبة بابه فلما جاء إسماعيل أخبرته ففهم أن أباه راض عن زوجته فتمسك بها وأكرمها .

البيت العتيق:

وأمر الله سبحانه إبراهيم عليه السلام ببناء البيت العتيق. في موضع محدد بمكة فجاء إليها باحثًا عن فلذة كبده ليكون عونًا في مهمته العظيمة، وأسرع إسماعيل يعين أباه على تنفيذ أمر الله وشرعا يبنيان البيت الحرام، طالبين من الله القبول والثواب {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.

واستمرا يعملان حتى اكتمل البناء فبارك الله جهدهما وحمى هذا البيت وجعله قبلة الناس وملاذهم إلى يوم القيامة.

قال تعالى : {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا}.

المسلم يتعلم:

١- أن الذي يثق بالله لا يضيعه الله.

٢- أن ابتلاء المؤمن رفع لدرجته.

٣- أن الله يستجيب دعاء المضطرين.

٤- أن إسماعيل عليه السلام نموذج للابن البار الصالح المحب لله.

٥- أن تعظيم البيت الحرام وزيارته من شعائر الله.

٦- أن طاعة الزوجة لزوجها، ورضاها بعيشهما من طاعة الله.

من مواقف الصحابة

(مصعب بن عمير نموذج للفتى المسلم الصالح)

موقف الدعوة إلى الله بالحكمة في قصة مصعب بن عمير[٨]

كان (مصعب بن عمير) شابًا فتيًا جميلًا، له مكانة في أهل مكة، ومنزلة بين أبويه، تجعله أثيرًا، مجاب الطلب، حرَّ التصرف في ثروتهما. وكان موضع احترام أهل مكة. يُقبلون على صحبته، ويرغبون في الارتباط به، ويضعونه في المكانة العليا من فتيان قريش وصفوة شبابها. وقد وصف الرسول – عليه الصلاة والسلام – مصعبًا في جاهليته، فقال: ((ما رأيت بمكة أحسن لمة [٩] ولا أرق حلة ، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير)).

في دار الأرقم:

لقد سمع (مصعب) – كما سمع أهل مكة جميعًا – دعوة الإسلام، وعلم أيضًا أن المسلمين يجتمعون في دار الأرقم بن أبي الأرقم، في خارج مكة، يتعلمون من محمد – عليه الصلاة والسلام – أمور الإسلام، ويتلقون عنه الوحي الإلهي.

ولم يتوان (مصعب) عن الذهاب إلى دار الأرقم، ليسمع بنفسه شيئًا عن هذا الدين الجديد .. ولم يلبث بعد أن سمع القرآن، وتدبر معانيه – أن أصبح واحدًا من خيرة المسلمين.

وقد أخفى (مصعب) خبر إسلامه، خشية غضب أبيه وأمه، فكان يحضر مجلس الرسول سرًا، حتى رآه (عثمان بن طلحة) وهو يصلي، فأخبر أهله بإسلامه فبدأ (مصعب) يدفع ثمن إسلامه غاليا.

في سبيل الإسلام:

عندما علمت أم مصعب بإسلامه، حاولت أول الأمر أن تثنيه عن عزمه، ولما لم تنجح في ذلك لجأت إلى أساليب التهديد والإغراء، فمنعت عن مصعب ما يحتاج إليه، وهي التي كانت تطلق يده في مالها ثم بالغت في تعذيبه فحبسته، وأخذت تذيقه ألوانًا شديدة من العذاب، وهو صابر لا يرفع فيها بصره، ولكنه لم يمكنها من أن تصل إلى ما تريد، فيئست، وأطلقت سراحه.

وعاش (مصعب) في مكة، يعاني من الفقر والجوع ما يعاني. وعندما أمر الرسول – عليه الصلاة والسلام – أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، خرج (مصعب) فيمن خرج، مفارقًا مراتع صباه، ومواطن عزَّه، واضعًا نصب عينه التمسك بالدين الذي آمن به والتضحية في سبيله.

ولم تكن حالهُ في الحبشة بأفضل من حاله في مكة، فقد ذاق هناك ألم الغربة، وبؤس العيش، وجدب الحياة، فآثر الرجوع إلى مكة، ليواصل منها رحلة الجهاد والصبر وتحمل البلاء.

---

[٨] هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبدالدار بن قصي – وأمه خناس بنت مالك . وكان أبواه كلاهما من أثرياء مكة.

[٩] اللمة من شعر الرأس : القليل منه ، والمراد : أنه كان يجمل شعره.

أول سفير للإسلام:

وقد شاء الله بعد أن اختبر صدق المؤمنين في مكة – أن يفتح للمسلمين بابا من الأمل، فأسلم نفر من أهل يثرب في موسم الحج، وبايعوا الرسول – عليه الصلاة والسلام – بيعة العقبة الأولى، ورغب الرسول الكريم في أن يمكن للإسلام في يثرب، فأرسل مع النفر الذين أسلموا شابًا صالحًا ذكيًا شجاعًا هو ((مصعب بن عمير)) ليقرئهم القرآن، ويعلمهم مبادئ الإسلام، ويقوم بنشره بين أهل يثرب.

وهناك نزل مصعب على ((أسعد بن زرارة)) وأخذ يدعو المشركين إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان يتنقل في يثرب من دار إلى دار، ومن ندوة إلى ندوة، تالي القرآن ذاكر ما يحفظ من أقوال الرسول – صلى الله عليه وسلم – ضاربا المثل الطيب في العبادة والتقوى.

ولم يكن يمَّر يوم دون أن يسلم الرجل أو الرجلان، ولم يترك بيتا إلا ترك فيه أثرًا طيبًا.

وقد أسلم على يديه في يوم واحد (سعد بن معاذ) و(أسيد بن خضير) من كبار زعماء يثرب، وأسلم بإسلامها خلق كثير.

واستمر (مصعب) قرابة عام في يثرب، لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها صوت للإسلام يتردد. ومع استدارة العام، وخروج يثرب إلى مكة – عاد مصعب إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – يبشره بما فتح الله عليه، ففرح الرسول – عليه الصلاة والسلام – بعودته ، وبما فتح الله عليه ، فرحا عظيما. ولما علمت أم مصعب بعودته أرسلت إليه تقول له: ((ياعاق أَتَقْدِم بلدًا أنا فيه ولا تبدأ بي؟)) فأجاب رضي الله عنه: ((ما كنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم)).

نائب القائد الأعلى في بدر

وهاجر (مصعب) رضى الله عنه الهجرة الأخيرة إلى المدينة قبل هجرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – باثنتي عشر ليلة، ليكمل – مع المسلمين – نشر الدعوة الإسلامية في مرحلتها الجديدة.

ولما كانت بدر في السنة الثانية للهجرة ، وكان (مصعب) من قادتها وأبطالها الميامين، وعند خروج الجيش من المدينة، كافأ الرسول صلى الله عليه وسلم (مصعبًا) جزاء ما قدم لدعوة الله، فدفع إليه لواء القيادة العامة التي يتولاها – صلى الله عليه وسلم – بنفسه.

ولما انتهت المعركة بنصر الله المبين للمسلمين كان من بين المشركين الأسرى ((أبو عزيز بن عمير)) أخو مصعب، ومرَّ به (مصعب) وأحدُ الأنصار يضع القيود في يده، فقال مصعب للأنصاري: شُدَّ يديك به، فإن أمه ذات متاع ، لعلها تفديه منك.

فقال أبو عزيزُ لأخيه مصعب: أهذه وصاتك بأخيك؟ فقال مصعب: ((إن الأنصاري هو أخي دونك)).

الشهيد :

وقد حاول المشركون الانتقام لهزيمتهم، فالتقوا بالمسلمين في معركة أحد، وانتصر المسلمون أول الأمر،

لكن الرماة تركوا أماكنهم ، فاستغل المشركون الفرصة، وأعادوا الكرة على المسلمين، وثبت مع النبي – صلى الله عليه وسلم – نفر قليل منهم (مصعب بن عمير) ، الذي كان يحمل لواء المسلمين في المعركة. وقد هاجم أحد فرسان الشرك[10] (مصعبًا) وضرب يده اليمنى فقطعها، فأخذ مصعب الراية بيده اليسرى، فقطعت ، فاحتضن الراية ، وظل يقاوم ، حتى سقط شهيدًا، وهو يردد قوله تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}[11].

فأسرع إليه مهاجران من بنى عبدالدار[12] ، فحمل أحدهما اللواء وأسرع الآخر يحمل مصعبًا إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فألقى عليه النبي نظرة الوداع، وهو يقرأ قول الله تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}[13].

المسلم يتعلم:

١- أن مقياس الرجولة والرقى ليس الغنى وجمال المظهر فقط، وإنما المقياس الجهاد والإخلاص.

٢- أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٣- أن المؤمنين أخوة، وأن رحم الإسلام أعزُّ رحم .

٤- أن المسلمين الأُول بذلوا الكثير، وتحملوا الشدائد والأهوال في سبيل الله.

٥- أن المسلم الصادق داعية للإسلام ، ناشر لنوره ، مجاهد في سبيله .

٦- أنه يجب أن نتأسى برسول الله –صلى الله عليه وسلم– وصحابته الأبرار، رضى الله عنهم أجمعين.

---

[10] يدعى بن قميئة.

[11] آل عمران ١٤٤.

[12] هما سويبط بن سعد ، وأبو الروم بن عمير.

[13] الأحزاب ٢٣ .

من مواقف الصحابيات

(أسماء بنت أبي بكر نموذج للفتاة المسلمة الصالحة)

موقف الفتاة المسلمة المجاهدة في قصة أسماء بنت أبي بكر[١٤]

بيت كريم:

في بيت أبيها أبي بكر الصديق رضى الله عنه بمكة ، نشأت (أسماء) وأمضت طفولتها وشبابها، إلى أن هاجرت في سبيل الله مع زوجها (الزبير بن العوام) في السنة الأولى للهجرة .

في هذا البيت الكريم العريق في النبل وكرم الأصل – شاهدت (أسماء) ظهور الإسلام ، ومسارعة أبي بكر إليه ، وكان طبيعيا أن يدعو الصديق أهله إلى الدين الذي آمن به، فلم تلبث (أسماء) أن أسلمت ، بعد أن أسلم سبعة عشر صحابيًا ، وأصبحت بذلك من السابقات في الإسلام .

لقد تشبعت (أسماء) بمبادئ الإسلام، ورباها أبوها على أخلاقه، فخرجت من بيته الكريم نموذجًا إسلاميًّا رائعًا للمرأة المسلمة.

الفدائية الباسلة:

بعد جهاد ثلاثة عشر عاما في مكة أذن الله لرسوله الكريم – عليه الصلاة والسلام – بالهجرة إلى المدينة، وقد احتاجت هذه الهجرة إلى تضحيات كبيرة كي يسلم الرسول وصاحبه، ويبلغا مستقرهما الجديد بالمدينة المنورة .

وقد حفظت السيرة الكريمة لأسماء مواقف بطولية مشرقة، فلقد كانت تحمل الطعام والماء وأخبار مكة إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – أثناء إقامته في الغار ، ولما كانت الليلة الثالثة خرجت إليهما تحمل من الزاد ما يكفيهما أيام سفرهما إلى المدينة. وعندما أرادت ربط الزاد لم تجد حبلًا تعلقه به، فشقت نطاقها[١٥] شقين، وعلقت الزاد بشق منهما، واكتفت بالشق الآخر. ولذلك سميت ((بذات النطاقين))!!

وما أن نجحت هجرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وصاحبه ، حتى أسرع إلى بيت أبي بكر نفر من قريش، من بينهم أبو جهل ، يريدون أن يعرفوا وجهة الرسول وصاحبه، وخرجت إليهم (أسماء) فسألها أبو جهل عن الرسول، فرفضت الإجابة، وأعرضت عنه، فلطم خدها لطمة أطارت قرطها[١٦] فما وهنت ولا اعترفت.

---

[١٤] أسماء بنت أبي بكر (عبدالله) بن أبي قحافة (عثمان) بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم – بن مرة . وأمها (قتيلة بنت عبدالعزى) ، قرشية من بني عامر بن لؤي.

[١٥] النطاق : ما تشد به المرأة وسطها .

[١٦] قرط المرأة : الحلق .

ثم جاء إلى البيت أبو قحافة – جدّ أسماء – يسأل عن حالها وأخوتها ، وعما ترك أبو بكر لهم ، وكان أبو قحافة رجلًا أعمى، فأخذت (أسماء) كيسًا به بعض الأحجار فوضعته في الكوة[١٧] التي كان أبوها يضع فيها ماله ، وقالت لجدها : هذا ما ترك أبي، فوضع يده، فوجده كثيرًا ، فقال: لا بأس إذا كان قد ترك لكم هذا، ولم يفجعكم في ماله، كما فجعكم في نفسه، ولم تنته مواقف (أسماء) عند حادث الهجرة العظي، ولكن حياتها حفلت بكثير من مواقف البطولة، وقد كان لها فضل الجهاد ضد الروم في موقعة اليرموك، فقد اشتركت فيها مع زوجها (الزبير) وابنها (عبدالله).

زوجة صابرة:

تزوجت (أسماء) بالزبير بن العوام ابن عمة النبي – صلى الله عليه وسلم – وكان حينذاك فقيرًا، لا يملك إلا فرسه. وعاشت معه صابرة مجاهدة ، تعمل – في البيت – عملا يدرّ عليهما رزقا يستعينان به على الحياة.

وقد هاجرت معه إلى المدينة على هذه الحال، إلى أن أقطع النبي – صلى الله عليه وسلم – زوجها أرضًا من أرض بني النضير ، فحسنت حالهما بعض الشيء، إلا أنها لم تبلغ مبلغ الثراء ، وقد تعودت (أسماء) الصبر والقناعة والزهد، وعلمت ابنها (عبدالله) هذه الأخلاق الفاضلة فكان – رحمه الله – كأمه زاهدًا صوامًا قوامًا.

أديبة عالمة :

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه، ملازمًا للقرآن الكريم وللنبي صلى الله عليه وسلم . وفي ظل هذا الوالد المؤمن نشأت (أسماء) وتغذى عقلها ولسانها وضميرها، فلا عجب أن تكون أديبة بليغة تقول الشعر ، وتجرى الحكمة على لسانها قوية صادقة ، وتملك ببيانها العذب والألباب والعقول ، وتقنع محدثها برأيها الصائب. وكانت – إلى جانب ذلك – عالمة بأمور دينها محدثة تروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تسمع من كلامه الطيب. وقد روى لها الشيخان (البخاري، ومسلم) ستة وخمسين حديثًا.

أم مثالية:

وكانت (أسماء) أما مثالية تتحكم في عاطفتها، وتقود ابنها إلى ساحات المجد الجهاد، والدفاع عن المبدأ الذي آمن به.

وقد كاد ابنها (عبدالله) أن يكون خليفة للمسلمين. ولما اقتحم الحجاج بن يوسف الثقفي (نائب عبدالملك بن مروان) مكة دخل على (عبدالله) سنة ٧٣ هـ، وتخلى عنه أكثر أصحابه، وأهله وجنوده، ولم يكن أمامه إلا الموت، أو أن يقبل الاستسلام – رأى (عبدالله) في تلك اللحظة الحرجة أن يدخل على أمه ويستشيرها – وكانت قد بلغت المائة من عمرها، لكنها كانت لا تزال على رجاحة عقلها، وقوة

[١٧] فتحة صغيرة في الحائط غير نافذة.

إيمانها، فلما سألها ابنها الرأي: أن يستسلم لأعدائه الذين يعطونه ما يشاء من الدنيا ، أو يقاتل حتى يموت؟ قالت له : ((يا بني إن كنت على الحق ، وإليه تدعو فامض عليه، لقد قتل خدمة دينهم وأمنهم، مهما تكن التضحيات والنتائج)) .

الفهرس